

■ ابو طالب من رجال بنى هاشم العظاماء ، وهو احد الابطال الذين ساندوا مهدا ودعوته الحقة ، وأسهموا في تثبيت اركانها وانتشارها بين القبائل ، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب وهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكافله بعد جده عبد المطلب منذ صباه .

ولكن لا ادري لماذا قال ابن رشيق « فاما ابو طالب ومن شاكله فلم اذكر لهم شيئا » (٢) وهو الذي ذكر شمرا لحمزة وعلى بن ابي طالب والعباس وعبد الله بن عبد المطلب وجعفر بن ابي طالب والحسين بن علي وعبد الله بن العباس وكثير غيرهم من الصحابة في كتابه (العمدة) .

اتلق رجال قريش الذين ناهضوا محمدًا وما قد جاء به فمضوا الى ابي طالب بعمارة بن الوليد ابن المفرة وطلبوه منه ان يسلمهم ابن أخيه ليقتلوه وبأخذ الوليد مكانه فقال (والله ليئس ما أسمونتش) . المطونشي ابتكم اغدوه لكم واعطيكم ابني لقتلونه ! هذا والله ما لا يكون ابداً » . فبرد عليه المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصي ، وهو احد الذين قدموا اليه « والله يا ابا طالب لقد انصفك قومك وجهدوا على التخلص منها تكرهه ، فما اراك ترى ان تقبل منهم شيئاً » . ويقول ابو طالب للمطعم « والله ما انصفوني ، ولكتك اجهمت خذلاني وظاهرة القوم علي ، فاصنعني ما بدا

ويروى ان عبد المطلب لما حضره الموت جمع بنيه واوصاهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقترع الزير وابو طالب ايهما يكفل رسول الله صلى عليه وسلم ، فاصابت القرعة ابا طالب فاخذه اليه ، وفيه بل اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزير وكان الطف عبيه به . وفيه اوهى عبد المطلب ابا طالب به (١) فرعاء حق الرعاية وحدب عليه ولم يفارقه صغيراً وكبيراً ، ودافع عنه ورد محاولات قريش في الليل منه عندما بشر بدعوته ، فكان له خير معين وخير حام في مكانته وشخصيته وشعره ، فقد كان ابو طالب ذا مكانة ومتزلة رفيعة بين قومه ، وكان شاعراً تجلى لنا شاعرية في الدفاع عن محمد ورد قريش وتفتيذ دعواهم وصدق احساسه وشعوره المغير عما يكن لمحمد ولدينه من تأييد ونصر .

شعر ابى طالب متفرق في كتب كثيرة
وشعر ابى طالب كثير متفرق في بطون الكتب ،

وَتِيمٌ وَمُخْرُزُومٌ وَزَهْرَةٌ مِنْهُمْ
وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بَغَ النَّصْرَ

فَوَاللَّهِ لَا تَنْفَكُ مِنَّا عَدَاوَةً
وَلَا مِنْهُمْ مَا كَانَ مِنْ نَسْلِنَا شَفَرٌ

فَقَدْ سَفَهْتُ أَحْلَامَهُمْ وَعَقُولَهُمْ
وَكَانُوا كَجْفَرٍ بَئْسٌ مَا صَنَعْتُ جَفْرًا

وَتَسْتَمِرُ قَرِيشٌ عَلَى مُحَارَبَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَمْهِنُ فِي تَعْذِيبِ أَصْحَابِهِ، وَتَشَنَّ
عَلَيْهِمْ حَمْلَةً قَاسِيَّةً مِنَ الْفَتْكِ وَالتَّهْمِيلِ بِهِمْ أَنْتَ
وَجَدْتُهُمْ فِي خَشْيَى أَبُو طَالِبٍ أَنْ يَنْتَلِ الْأَذْى مُحَمَّدًا،
وَيَدْعُونَ بْنَي هَاشِمٍ لِيَمْنَعُوهُ وَيَحْمُوهُ وَيَنْصُرُوهُ، وَقَدْ
يُسْتَجِيبُ لِدُعَوَتِهِ الَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَيَقُولُ شَعْرًا
يَمْدُحُهُمْ فِيهِ، وَيَشْيِيدُ بِهِمْ، وَيَعِيبُ قَرِيشًا عَلَى
مَا ذَهَبَتِ إِلَيْهِ مِنْ أَيْدِيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُحَاوَلَةِ رَدِّهِمْ
عَنْ دِيَنِهِمُ الْجَدِيدِ وَيَفْخُرُ بِمَنْزِلَةِ مُحَمَّدٍ بَيْنَ قَوْمِهِ
وَدِفاعُ بْنَي هَاشِمٍ عَنْ قَرِيشٍ قَبْلَ الدُّعَوَةِ ...
إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قَرِيشٌ لِمُفْخَرٍ
فَعَدَ مُنَافَ سَرَّهَا وَصَمِيمَهَا

وَانْ حَصَلتْ أَشْرَافٌ عَبْدٌ مُنَافُهَا
فَفِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا

وَانْ فَخَرَتْ يَوْمًا فَانْ مُحَمَّدا
هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سَرَّهَا وَكَرِيمُهَا
تَدَاعَتْ قَرِيشٌ غَثَّهَا وَسَمِينَهَا
عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حَلُومُهَا

وَكَنَا قَدِيمًا لَا نَقْرَ ظَلَامَةً
إِذَا مَا ثَنَوْا صَعْرَ الْخَدُودَ نَقِيمُهَا

وَنَحْمَى حَمَاهَا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةً
وَنَضَرَبَ عَنْ أَمْجَادِهَا مِنْ يَرْوَمُهَا

بَنَا انتَعَشَ العَوْدَ الْذَوَاء وَانْمَا
بِأَكْنَافِنَا تَنْدِي وَتَنْمِي أَرْوَمُهَا (٥)

وَلَمْ يَكْتُفِ أَبُو طَالِبٍ بِدُعَوَةِ بْنَي هَاشِمٍ لِمُسَانِدَتِهِ
فِي الْذَوَادِ عَنْ مُحَمَّدٍ وَفِي مَدْحُوْهِمْ أَوْ يَقْطَعُ اسْبَابَ

شَاعِرٌ دَافَعَ عَنِ الْإِسْلَامِ بِمَنْزِلَتِهِ وَشِعْرِهِ



لَكَ (٦) وَلَمْ يَكْتُفِ أَبُو طَالِبٍ فِي هَذَا الرَّدِّ وَمَرَارَةِ
الْخَيْبَةِ الَّتِي الْحَقَّهَا بِالْمَطْعَمِ بْنُ عَدَى وَبِقِيَّةِ الْوَفَدِ،
وَانْمَا يَعْرُضُ لَنَا ذَلِكَ فِي شِعْرِهِ فَيَقُولُ مَعْرَضًا
بِالْمَطْعَمِ بْنُ عَدَى وَجَمَاعَتِهِ وَيَسْمِفُهُ آرَاءَهُمْ وَعَقُولُهُمْ .

أَلَا قَلْ لِعَمِرو وَالْوَلِيدِ وَمَطْعَمِ
أَلَا لَيْتَ حَظِيَ مِنْ حِيَاةِنَا بِكَرْ (٧)
وَبَعْدَ أَنْ يَصْفِ الْبَكَرَ وَهُوَ مِنْ الْأَبْلِ يَمْهُى
فَيَقُولُ

أَرَى أَخْوَيْنَا مِنْ أَبِينَا وَأَمْنَا
إِذَا سُئِلَا قَالَا إِلَى غَيْرِنَا الْأَمْرُ
بِلِّي لَهُمَا أَمْرٌ وَلَكِنْ تَجْرِيْمًا
كَمَا جَرَجَتْ مِنْ رَأْسِ ذِي عَلْقَ الْصَّخْرِ
أَخْصَ خَصْوَصًا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا
هَمَا نَبْذَانَا مِثْلَ مَا يَنْبَذُ الْجَمَرُ

هَمَا أَغْمَزَا لِلْقَوْمِ فِي أَخْوَيْهِمَا
فَقَدْ أَصْبَحَا مِنْهُمْ أَكْفَهُمَا صَفَرٌ
هَمَا أَشْرَكَا فِي الْمَجْدِ مِنْ لَا أَبَا لَهُ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَرِسَّ لَهُ ذَكْرٌ

٤ - السيرة النبوية لابن هشام ط ١٩٥٥ المجلد ١ - ٢ ص ٢٦٧

٥ - السيرة لابن هشام ط ١٩٥٥ م ١ - ٢ ص ٢٦٩

وبالحجر المسود اذ يمسحونه
اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل
وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة
على قدميه حافيا غير ناعمل
وبعد ان يذكر بعض الشعائر والاماكن وبعض
القبائل ، يوجه خطابه الى مناوئيه من المشركين
واعداء محمد صلى الله عليه وسلم فيقول :
كذبتم وبيت الله نترك مكة
ونظعن الا أمركم في بلاطكم
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهب عن أبنائنا والحلائـل
ومن ثم الى المطعم بن عدى
امطعم لم أخذلك في يوم نجدة
ولا معظم عند الأمور الجلائـل

رسالة شعرية الى النجاشي

ولما هاجر المهاجرون الى الحبشة وعلى رأسهم
جعفر بن أبي طالب ارسل ابو طالب الى النجاشي
أبياتا يधسه فيها على اكرام المهاجرين ويبين له
فيها منزلة محمد ..

ليعلم خيار الناس أن محمدا
نظير لموسى واليسوع ابن مرريم
وانك ما تأريك منا عصابة
بغضلك الا أرجعوا بالتكـرم

ولم ترك قريش امر المهاجرين الى الحبشة او
تدعهم دون ان تحاول استرجاعهم وتتأليب النجاشي
عليهم ليطردهم من بلاده ، فارسلت وفدا من
عمرو بن العاص وبشيري بن أبي ربعة في هذه
المهمة ، وليس لهم النجاشي المهاجرين الى قريش .
ولكن ابا طالب يبعث له في هذه الابيات ليधسه
على حسن جوار المهاجرين والدفع عنهم .

الرجاء ويغلق الابواب في وجوه قريش فيبقى
الطرفان على فرقـة وتناقض ، وانما يذهب الى
بيت الله وموطئ ابراهيم الخليل فيستعيد بربه
من اذى المشركين وطعنـهم ، ومحاولات اعدائه بـثـ
الباطل والنيل من الدين الجديد ، فيرسل لنا ما
تجيش به خواطـره من غيرة وحبـ محمد واصحـابـه
ودعـوته ، فيـ شـعـرـ نـابـضـ بالـحـيـاةـ وـالـلـوـاءـ فيـ الدـفـاعـ
عنـ الاسلامـ ، وـيـذـكـرـ فـيـهـ بـعـضاـ مـنـ رـجـالـ قـرـيـشـ
واشـرافـهاـ يـسـتعـطـفـهـ ، وـلـكـنهـ يـذـكـرـهـ أـيـضاـ بـأـنـهـ
لمـ يـتـخـاذـلـ عـنـ نـصـرـةـ مـحـمـدـ ، وـلـمـ يـتـهـاـونـ فـيـ شـيـءـ
مـنـ أـمـرـهـ أـبـداـ . وـمـنـ بـيـنـ الـذـيـنـ ذـكـرـهـ مـسـتعـطـفـاـ
المـطـعـمـ بـنـ عـدـىـ الـذـيـ كـانـ قـدـ عـرـضـ بـهـ فـيـ مـنـاسـبـةـ
سابـقةـ فـنـاهـ يـقـولـ :

فـلـمـاـ رـأـيـتـ الـقـوـمـ لـاـ وـذـ فـيـهـ
وـقـدـ قـطـعـوـاـ كـلـ الـعـرـىـ وـالـوـصـائـلـ(١)
وـقـدـ صـارـحـوـنـاـ بـالـعـدـاـوـةـ وـالـأـذـىـ
وـقـدـ طـاوـعـوـاـ أـمـرـ الـعـدـوـ الـمـاـيـلـ
وـقـدـ حـالـفـوـاـ قـوـمـاـ عـلـيـنـاـ أـظـنـةـ
يـعـضـوـنـ غـيـظـاـ خـلـفـنـاـ بـالـأـنـامـلـ
صـبـرـتـ لـهـ نـفـسـىـ بـسـمـرـاءـ سـمـحةـ
وـأـبـيـضـ عـضـبـ مـنـ تـرـاثـ المـقاـولـ
وـأـحـضـرـتـ عـنـدـ الـبـيـتـ رـهـطـىـ وـأـخـوتـىـ
وـأـمـسـكـتـ مـنـ أـثـوـابـهـ بـالـوـصـائـلـ
إـلـىـ أـنـ يـقـولـ ...

أـعـوذـ بـرـبـ النـاسـ مـنـ كـلـ طـاعـنـ
عـلـيـنـاـ بـسـوءـ أوـ مـلـحـ بـبـاطـلـ
وـمـنـ كـاـشـحـ يـسـعـىـ لـنـاـ بـمـعـيـبـةـ
وـمـنـ مـلـحـقـ فـيـ الـدـيـنـ مـاـ لـمـ نـحـاـوـلـ
وـثـورـ وـمـنـ أـرـسـىـ ثـبـرـاـ مـكـانـهـ
وـرـاقـ لـيـرـقـىـ فـيـ حـرـاءـ وـنـازـلـ
وـبـالـبـيـتـ حـقـ الـبـيـتـ مـنـ بـطـنـ مـكـةـ
وـبـالـلـهـ أـنـ اللـهـ لـيـسـ بـفـسـاـفـلـ

وول سبيل العجز غيرك منهم
فانك لم تخلق على العجز لازما
وحاربْ فان الحرب نصف ولن ترى
أخاك الحرب يعطي الخسف حتى يساملا
وكيـف ولـم يـجـنـوا عـلـيـك عـظـيمـة
ولـم يـخـذـلـوكـ غـانـمـاـ أوـ مـفـارـمـا
جزـى اللهـ عـنـاـ عـبـدـ شـمـسـ وـنـوـ فـلـاـ
وـتـيـمـاـ وـمـخـزـوـمـاـ عـقـوـقـاـ وـمـأـثـمـاـ
بتـفـرـيقـهـمـ منـ بـعـدـ وـدـ وـأـلـفـةـ
جـمـاعـتـنـاـ كـيـمـاـ يـنـالـوـاـ الـحـارـمـاـ
كـذـبـتـمـ وـبـيـتـ اللـهـ نـبـزـىـ مـحـمـداـ
وـلـمـ تـرـوـاـ يـوـمـاـ لـدـىـ الـشـعـبـ قـائـمـاـ

اشادة بالنبي ..

واخذ الاسلام يدب دبيب الضياء بين صفوف
الظلام ، وانضم اليه بعض عظماء الرجال ، ومنهم
عمر بن الخطاب ، ولم تجد نفعا مقاومة المشركين
من قريش ومؤامرتهم ، فاخذوا يدبرون أمرا آخر
للحد من انتشار الاسلام وكسر شوكة المسلمين ،
فقد « اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا
يتعاقدون فيه علىبني هاشم وبني المطلب ، على
أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحهم ولا يبيعوهم شيئا
ولا يتبعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في
صحيفة ، ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك (١) ،
فقال أبو طالب في قريش وصحيفتهم هذه قصيدة
يشيد بمحمد و منزلته بين أصحابه ، ويندد بما
اجتمعوا عليه ، ويؤكد أنه لم يتهاون في نصرة ابن
 أخيه او يسلمه لاحد ينال منه او يتركه وشأنه
بين القبائل لتؤديه حتى وان أدى ذلك الى
خوض الحرب ...

الا ابلغا عنى على ذات بیننا
لؤیا و خصما من لؤی بنی کعب (١١)

الم تعلموا أنا و جدنا محمد
نبي کموسى خط في أول الكتب

الا ليت شعرى كيف في النـأـيـ جـعـفـ
وـعـمـرـ وـأـعـدـاءـ الـعـدـوـ وـالـأـقـارـبـ (٧)
وـهـلـ نـالـتـ أـفـعـالـ النـجـاشـيـ جـعـفـراـ
وـأـصـحـابـهـ أـوـ عـاقـ ذـلـكـ شـافـبـ
تعلـمـ أـبـيـ اللـعـنـ انـكـ مـاجـدـ
كـرـيمـ فـلـاـ يـشـقـيـ لـدـيـكـ المـجـابـ
تعلـمـ بـأـنـ اللـهـ زـادـكـ بـسـطـةـ
وـأـسـبـابـ خـيرـ كـلـهاـ بـكـ لـازـبـ
وـأـئـكـ فـيـضـ ذـوـ سـجـالـ غـزـيرـةـ
يـنـالـ الـأـعـادـيـ نـفـعـهـ وـالـأـقـارـبـ

دعاة لأبي لهب ..

ولـمـ عـادـ الـمـهـاجـرـونـ مـنـ الـجـبـشـةـ إـلـىـ بـلـادـهـمـ ،
دخل ابو سلمة بن عبد الاسد في جوار أبي طالب
فأقبل قومه على أبي طالب يستردون منه أبا سلمة
فتقالوا له « يا أبا طالب ، لقد منعت منا ابن
أخيك محمد ، فما لك ولصاحبنا تمنعه عننا ؟
قال : انه استجار بي ، وهو ابن اختي ، وان
انا لم أمنع ابن اختي لم أمنع ابن أخي ، فقام
أبو لهب فقال : يا معاشر قريش ، والله لقد
أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون توثنون عليه
في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه او
لنقوم معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما
أراد» (٨) فانصرفوا خشية أن يخذلهم أبو لهب ،
وقول أبي لهب هذا جعل أبا طالب يطعم فيه
فيقول فيه شعرا يधسه على تأييده وان ينضم
إلى جانب الحق ..

وان أمرأ أبو عتبة عممه
لفي روضة ما ان يسام المظالم (٩)

أقول له وأين منه نصيحتي
أبا معتب ثبت سوادك قائما
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة
تسب بها اما هبطت الموسما

١٠ - السيرة لابن هشام ط ١٩٥٥ ص ٣٥٠

٧ - السيرة لابن هشام ط ١٩٥٥ م ١ - ٢ ص ٣٣٣

١١ - نفس المصدر ص ٣٥٢

٨ - نفس المصدر ص ٣٧١

٩ - السيرة لابن هشام ط ١٩٥٥ ص ٣٧١

الله أعلم بجهة صنع ربنا
علي نأيهم والله بالناس أمر ود (١٢)

فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
وان كل ما لم يرضه الله مفسد

تراوحهـا اـفـك وـسـحر مـجـمـع
ولـم يـلـف سـحـر آخر الدـهـر يـصـعد

تداعى لها من ليس فيها يقرقر
خطائرها في رأسها يتزدد

وكان كفاء رفعة بأشيمه
ليقطع منها ساعد ومقلد

ثم يقول داعيا للذين تشاوروا على تمزيقها
بجزاء الله الحسن ويمدحهم ويشيد بمخايرهم

وَسَبِّحْنَاهُمْ ..

جزى الله رهطا بالحجون تبايعوا
على ملا يهدى لحزم ويرشد

قد عودا لدى خطم الحجون كأنهم
مقاؤلة بل هم أعز وأمجد

أعان عليهما كل صقر كأنه
إذا ما مشى في زخرف الدرع أجود

جرىء على جلّ الخطوب كأنه
شهاب بكتف قاس يتمقد

من الأكرمين من لؤي بن غالب
إذا سمع خسفاً وحصه بتسد

ويوصي ابو طالب قومه قبيل وفاته باتباع محمد وتصديقه « ولما اشتد بابي طالب مرضه دعا بنبي عبد المطلب فقال انكم لن تزالوا بخير ما سمعتم قوله محمد واتباعكم امره فاتبعوه وصدقوه ثم شدوا » (١٤) .

وهكذا نرى ابا طالب شاعرا يذور بشعره عن
الاسلام ويدافع عن ابن أخيه دفاع الابطال .

العراق حسين الحمداني

وأن عليه في العباد محبة
ولا خير من خصه الله بالحب (١٢)

وأن الذى ألقتم من كتابكم
لهم كائناً نحساً كراغية السقب

افيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى
ويصبح من لم يجن ذنبها كذى الذنب

وَلَا تَتَبَعُوا أَمْرَ الْوَشَاءِ وَتَقْطَعُوا
أَوْاصِرَنَا بَعْدَ الْمَوْدَةِ وَالْقُرْبِ

وستجلبوا حربا عوانا وربما
أمر على من ذاقه جلب الحرب

فَلَسْنَا وَرَبُّ الْبَيْتِ سَلَمٌ أَحْمَدٌ
لَهُزَاءُ مِنْ عَضِ الزَّمَانِ وَلَا كَرْبَ

أليس أبونا هاشم شهد أزره
أنه بالطعن وبالضم بـ

ولسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا تشتكِ ما قد ننوب من النك

ولكننا أهل الحفاظ والنهى
إذا طار أرواح الكلمة من الرعب

وقد كان بين قريش من لم يتمسك بهذه الصحيفة او ينفذ ما جاء بها ، بل سعى الى ابطالها وتمزيقها وأول رجل قام بذلك هو هشام ابن عمرو بن ربيعة ، وقد انضم آخرون اليه في عمله هذا وهم زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدی وزمعة ابن الاسود - وكان المطعم بن عدی قد استجاب لاستعطاف ابی طالب له في قضيّته اللامية المذکور بعضها في هذا المقال .

وصیة ابی طالب

وقد قال ابو طالب حين مزقت الصحيفة يعييدها
ويذكر اثمهما وظلمها ، ويمدح النفر الذين قاموا
بتمزيقها ويتهمنى في بداية قوله لو يصل خبر
مزيقها للمهاجرين الذين قطعوا البحر الى الجبنة
ليفروا بذلك .

١٤ - اسد الفابة المجلد الاول ص ١٩

١٢ - أى ولا أخير من الذى خصه الله بالحب .

١٣ - السيرة لابن هشام ص ٣٧٨